جهود الشيخ أحمد أبومزيريق في تنزيل النص القرآني على الواقع من خلال تفسيره إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن

إعداد:

أ. مصطفى فرج محمد بن حميد

جامعة المرقب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد.

فإن أولى ما يتنافس فيه المتنافسون، ويشتغل فيه المشتغلون هو كتاب الله ﷻ، خير كتاب يتنافس العلماء لخدمته، وتضاعف الجهود لمعرفة أسراره وخفاياه، ولا تكل الهمم من مُدَارَسته، الكتاب الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [1].

يتميز تفسير أبومزيريق " إرشاد الحيران " بتنزيل النص القرآني على الواقع، أي يربط الآية بالواقع الذي عاشه المفسر، وهذا الأمر ليس بالسهل، يحتاج إلى شخص يستوعب فهم الآية فهما صحيحا، مع الإحاطة الكاملة بالواقع الذي يعيشه؛ لذلك رأيت من خلال هذه الورقة البحثية، إلقاء الضوء على الجهد الذي بدله الشيخ أبي مزيريق في تنزيل النص القرآني على الواقع، فاخترت لهذه الورقة عنوان: جهود الشيخ أحمد أبومزيريق في تنزيل[2] النص القرآني على الواقع من خلال تفسيره إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن" أسأل الله التوفيق.

---

(1) فصلت : 42.

(2) التنزيل في اللغة: النون والزاي واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه. ونزل عن دابته نزولا. ونزل المطر من السماء نزولا، والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر... والتنزيل: ترتيب الشيء ووضعه منزله. ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس.(417/5). (مادة نزل)، ويقال أيضا: النزول: الحلول، ونَزَّلَه تَنْزِيلًا، والتَّنْزِيل أَيضاً: الترتيبُ. والتَنَزُّل: النُّزول فِي مُهْلة، ونَزَلَ مِنْ عُلْوٍ إِلى سُفْل: انْحَدَرَ. ينظر: لسان العرب، ابن منظور.(11/ 656_ 657). (مادة نزل). التنزيل اصطلاحا: له تعريفات متعددة لكلمة " تنزيل" منها:

1 _ التنزيل هو: ترتيب الشيء، وتنزيل القرآن ظهوره بحسب الاحتياج بواسطة جبريل على قلب المصطفى ﷺ. ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين الحدادي. (ص/110).

2_ التنزيل هو: من نزل، إحلال الشيء محل غيره. ينظر: معجم لغة الفقهاء. رواس قلعجي.(ص/148).

أولا: أهمية الموضوع ودواعي اختياره.

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[1]، فالقرآن الكريم كتاب هداية والهداية يمكن تحقيقها في تنزيل النص القرآني على الواقع، إذ الإنسان يشاهد صدق القرآن في واقعه الذي يعيش فيه، فيهتدي به في مسيرة حياته، وتأكيدا لمبدأ صلاحية القرآن الكريم في كل زمان ومكان. لذلك فقد حرص علماء التفسير، في تبيين القرآن وتوضيحه للناس، فكانت لهم جهود وإسهامات في تنزيل النص القرآني على الواقع؛ ليقدم الحلول لمشكلات واقعه ويَصِفَهُ، ومن جملة هؤلاء، مفسر ليبي ألا وهو الشيخ: أحمد أبومزيريق، وذلك من خلال تفسيره إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، ومرجع ذلك إلى أمرين:

1_ يقرّب النص القرآني للواقع المعاصر لهم، إشارة منه إلى أن معنى الآية ينطبق على تلك الواقعة أو أن ما حدث في الواقع يخالف التوجيه القرآني.

2_ معرفة الشيخ أبومزيريق بقضايا عصره ومستجدات واقعه، ومن ثم معالجة نوازل البيئة التي عاش فيها.

وإدراكا مني لمكانة هذا العلم، والقيمة العلمية لهذا التفسير "إرشاد الحيران"، كان لزاما عليّ الكشف عن الجهد الذي بذله ليتبوأ مكانه الطبيعي المرموق من جملة أعلام البلاد الليبية والإسلامية.

= ولكن الأصوليين استعملوا هذه الكلمة بكثرة بمعناه اللغوي أي بمعنى (ترتيب الشيء على الشيء ووضعه منزلته) يقول الإمام الجويني: "فمن ادعى تنزيل جهات الخطاب على حكم كلام واحد مع العلم بأن في كتاب الله تعالى النفي والإثبات والأمر والزجر والأحكام المتغايرة فقد ادعى أمرا عظيما" البرهان في أصول الفقه، للجويني.(1 / 160). يقول أبو حامد الغزالي:" والقاضي مع مصيره إلى التعارض نقل الاتفاق عن العلماء على تنزيل المطلق على المقيد عند اتحاد الحكم» المستصفى، للغزالي.(ص/262).يقول الآمدي: «فالأصل تنزيل لفظ الصلاة والصوم والبيع على عرف الشارع» الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي. (193/2). وكما هو واضح تماماً أن هذه التعريفات كلها وإن اختلفت في ألفاظها فهي تتركز حول هدف واحد وهو تنزيل النص القرآني على الواقع.

(1) الإسراء: من الآية 9.

ثانيا_ مجال البحث وحدوده.

تقتصر الدراسة على تفسير أبي مزيريق " إرشاد الحيران"، وذلك بالتطرق إلى بيان الملامح العامة لمنهج أبي مزيريق في تنزيل النص القرآني على الواقع، والتركيز على المسائل التي تناولها عند تنزيل النص القرآني.

ثالثا: تساؤلات الدراسة.

لهذه الدراسة جملة من التساؤلات كانت دافعاً أصيلاً لهذا البحث، فالسؤال الأبرز والرئيس يمكن صياغته على النحو الآتي:

هل يمكن رصد جهود مضنية للشيخ أبي مزيريق بذلها في تنزيل النص القرآني، من خلال تفسيره "إرشاد الحيران"؟ ومن هذا السؤال المحوري، تتفرع العديد من الأسئلة الأخرى الشارحة له والتي من شأنها الإلمام بالجوانب المختلفة للموضوع، وهي كالآتي:

1_ من هو الشيخ أبو مزيريق؟ وكيف كانت نشأته وحياته؟ وهل له نشاط علمي؟ وما هي الملامح العامة لتفسيره " إرشاد الحيران"؟

2_ ما هي أهم الملامح العامة لمنهج أبي مزيريق في تنزيل النص القرآني على الواقع؟

3_ ما هي الجوانب التي تطرق إليها أبومزيريق في تفسيره عند تنزيله للنص القرآني؟

4_ إلى أي مدى أسهمت عناية الشيخ أبي مزيريق بتنزيل النص القرآني على الواقع، من خلال تفسيره هذا؟

رابعا: المنهج المتبع في البحث.

اتبع الباحث ثلاثة مناهج، وهي المنهج التاريخي الوصفي والاستقرائي والتحليلي، وهذا ما يقتضيه طبيعة هذا الموضوع.

خامسا: الدراسات السابقة.

أبومزيريق وتفسيره "إرشاد الحيران"، كان مثارا للبحث لدى الباحثين، حيث أقيمت حوله العديد من الدراسات، ولِمَا لهذه الدراسات السابقة من مكانة وأهمية في تحديد مجال البحث وهدفه، حيث تمد الباحث بمعارف ومعلومات ومناهج الباحثين الآخرين، الذين انصبت جهودهم في هذا المجال العلمي، الذي بصدد

البحث فيه، فيكون ذلك عونا له، في الوقوف على الجانب أو الجوانب التي تحتاج إلى المزيد من البحث والتوضيح.

ومن خلال اطلاعي على البحوث التي أقيمت حول أبي مزيريق وتفسيره، فقد تناولت جوانب مختلفة منها المنهج الفقهي والتفسير اللغوي، سأذكر ثلاثة منها[1] :

1_ المنهج الإصلاحي للشيخ أبومزيريق، مصطفى حديد، بحث مقدم في المؤتمر الدولي (المفسرون المغاربيون المعاصرون)، المقام في المملكة المغربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2013م.

2_ أبومزيريق ومنهجه في تفسيره إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، وفاء علي محمد العماري، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، 2015م.

3_ جهود أبي مزيريق الليبي في التفسير من خلال كتابه إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، صالح المختار أبوبكر، جامعة طنطا، مصر، 2016م.

---

(1) إضافة إلى ذلك هناك دراسات أخرى لمن أراد الاستزادة والاستفادة وهي على النحو الآتي:

الشيخ أبو مزيريق ومنهجه في التفسير بالرأي في تفسيره: "إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن" مصطفى المختار فرنانة، بحث مقدم لمجلة البحوث الإسلامية، مصر، العدد عشرة، سنة 1438هـ 2016م.

التفسير العقلي في العصر الحديث من خلال إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، عزالدين مفتاح عمران، رسالة دكتوراه، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب المغرب، 2016م.

أبو مزيريق ومنهجه في التفسير من خلال كتابه إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن سورة يوسف أنموذجا "، تهاني سلامة حسن، بحث قدم في المؤتمر الدولي الأول " الجهود الليبية في تفسير القرآن وعلومه برعاية كلية أصول الدين، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية. 1443هـ / 2021م.

الشيخ أبومزيريق وجهوده الدعوية وآراؤه الإصلاحية في تفسيره إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن علي محمد أحمد بن يحمد، بحث قدم في المؤتمر الدولي الأول " الجهود الليبية في تفسير القرآن وعلومه برعاية كلية أصول الدين، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية. 1443هـ / 2021م.

المنهج الفقهي عند الشيخ أحمد أبي مزيريق من خلال تفسيره إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، بشير عبد الله القلعي، بحث قدم في المؤتمر الدولي الأول " الجهود الليبية في تفسير القرآن وعلومه برعاية كلية أصول الدين، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية. 1443هـ / 2021م.

فدراستي هذه تعدّ امتدادا للدراسات السابقة وتكميلا لها، والمثار للعرض والبحث في هذا الموضوع هو أكثر خصوصية من اهتمامات هذه الدراسات.

سادسا: خطة البحث.

تقتضي طبيعة هذا البحث، بأن تكون خطته على النحو الآتي:

المقدمة، وتتضمن:(أهمية الموضوع ودواعي اختياره ومجال البحث وحدوده، وتساؤلات الدراسة، والمنهج المتبع في البحث، والدراسات السابقة، وتقسيمه).

التمهيد، وفيه: (التعريف بمؤلف التفسير" أحمد أبومزيريق، والملامح العامة لمنهج أبي مزيريق في تفسيره).

المطلب الأول: الملامح العامة لمنهج أبي مزيريق في تنزيل النص القرآني على الواقع.

المطلب الثاني: تطبيقات على تنزيل النص القرآني على الواقع عند أبي مزيريق. "صور ونماذج مختارة"

الخاتمة: وتتضمن النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

الفرع الأول: التعريف بمؤلف التفسير " أبومزيريق ".

قلت فيما سبق، إن الشيخ أحمد أبومزيريق وتفسيره كان مثارا للبحث لدى الباحثين، حيث أقيمت دراسات وافية تناولت جميع جوانب حياة الشيخ أحمد أبومزيريق من ولادته إلى وفاته، وهذا مما أغناني عن ترجمة المؤلف؛ لأن هذا يعد إعادة وتكرارا لما قام به الباحثون قبلي؛ لذلك رأيت أن أعرّف بمؤلف التفسير تعريفا موجزا، لصاحب هذا التفسير الجليل، وعليه أقول:

أولا: أسمه ونسبه.

هو الشيخ العلامة اللغوي المفسر الفقيه الأديب أحمد عبد السلام محمد أحمد بو مْزيريق المصراتي وبومْزيريق هو لقب لجده محمد، ولد الشيخ بمصراتة[1] سنة 1927م تقريبا، وكان أبوه تاجرا واعتنى بابنه (الشيخ) ووجّهه التوجيه السليم فتفرّغ للدراسة وطلب العلم، وعدم تكليفه بالعمل رغم صعوبة المعيشة في تلك الفترة، وكانوا يحثونه على طلب العلم.

ثانيا: نشأته.

نشأ الشيخ نشأة طيبة في أكناف هذه الأسرة الكريمة، ولم يشتهر أحد من أسرته بالعلم قبله. ابتدأ الشيخ في طلب العلم بتوجيه من عائلته في سن مبكرة، فالتحق بالكتاتيب في بداية نشأته – كعادة أهل هذه البلاد – وعمره خمس سنوات، وتعلم أصول الكتابة على يد الشيخ علي الشريف من قبيلة يدّر، ثم التحق بزاوية البي في سنة 1937، وأكمل حفظ القرآن فيها على يد الشيخ: علي أحمد المنتصر المصراتي، وأكمل السنة الرابعة وهو دون البلوغ وحضر في الزاوية لمدة سنتين الدروس التي كان يلقيها فضيلة الشيخ المرحوم العلامة محمد ابن العـــلامة عبد الرحمن بن نصر، والشيخ

(1) مدينة ليبية، تقع على الساحل الغربي، شرقي العاصمة طرابلس، تتميز مصراتة بخصوبة أراضيها وأهميتها الاقتصادية، وتعتبر العاصمة الاقتصادية والتجارية للبلاد، نظراً لنشاط حركة الموانئ وازدهار الصناعة والتجارة فيها. ينظر: معجم البلدان الليبية، الطاهر الزاوي. (ص/316).

المرحوم المربي بشير السباعي.

وفي سنة 1945م ذهب إلى الشيخ العلامة: محمد السهولي (م 1900، ت: 1993م) في مسجد رأس علي ولازمه وبدأ في الدراسة الحرة عليه في شتى العلوم الشرعية واللغوية والعقلية وغيرها، وكان يلازمه من الساعة الثامنة صباحاً إلى الساعة الثانية عشر ظهرا يوميا عدا يوم الجمعة.

والتحق بالتعليم النظامي، فتحصل على الابتدائية الأزهرية، والثانوية الأزهرية من معهد القويري الديني الأزهري، ثم التحق بجامعة الإمام محمد بن علي السنوسي كلية أصول الدين إلى أن تخرّج فيها عام 1967-1968م، ثم التحق بفرع الجغبوب[1] لإكمال دراسته العليا، لكنها أغلقت، فمنح الشيخ بعثة دراسية لاستكمال دراسته في مصر، لكن ظروفه حالت دون ذلك، فترك الدراسة وتفرغ للمطالعة والتدريس والتأليف.

درّس الشيخ في معاهد البيضاء[2] من حين تخرّجه، ثم انتقل إلى مصراته حيث درّس في مدارسها إلى أن دعاه العلامة المربي الشيخ الجليل محمد جبعور للتدريس في معهد القويري الديني وظل فيه مدرسا من سنة 77 تقريبا وحتى بعد تقاعده مجانا إلى أن حالت ظروفه الصحية دون ذلك.

كما كان الشيخ طوال عمره إماما وخطيبا في مساجد كثيرة، استقر به المقام أخيرا في مسجد قريتهم بعد عجز شيخه العلامة محمد السهولي.

كما لم ينقطع الشيخ عن حلقـات الدرس الحر في بيته والمساجـــد التي يؤم فيها

---

(1) بلدة ليبية جنوب شرق ليبيا وجنوب مدينة طبرق بحوالي 286كم، كانت مركزا دعويا هاما للحركة الإصلاحية التي أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي، تميزت الجغبوب منذ تأسيسها بتخريج عدد كبير من حفظة القرآن الكريم والذين كانوا يحفظون القرآن على قراءة الإمام نافع من رواية الإمام ورش وكما هو معلوم فإن باقي أنحاء ليبيا يتم تحفيظ القرآن على رواية الإمام قالون. يسكنها خليط من مختلف القبائل الليبية ويشتغل جزء كبير من السكان بالزراعة ومن أهمها زراعة النخيل والأعلاف الخضراء. ينظر: معجم البلدان الليبية، الطاهر الزاوي.(ص/103).

(2) مدينة البيضاء: تعد ثاني كبرى مدن المنطقة الشرقية وأهمها بعد بنغازي، وفي عهد المملكة الليبية كانت مقرًا للبرلمان الليبي وعدد من الوزارات ورئاسة الوزراء، تسمى كذلك بـ «مدينة الثلوج» نظرًا لتساقط الثلوج عليها شتاءً. ينظر: معجم البلدان الليبية، الطاهر الزاوي.(ص/73).

المصلين، فدرس عليه كثيرون ونهلوا من معين علمه، وتأدبوا بهديه وسمته، وأشهرهم على الإطلاق: الشيخ الجليل العلامة محمد محمد المحروق المصراتي الذي لازمه سنين عديدة، وقرأ عليه كثيرا من الفنون والكتب ولم تنقطع صلته به إلى وفاته. للشيخ مؤلفات كثيرة تدل على علمه وسعة اطلاعه، نذكرها:

1 – كشف الغطاء عما وقع في المآثم من الأخطاء.

2 – إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، وهو تفسير كامل للقرآن، وهو أعظم مؤلفاته، أودعه خزانة فكره وآرائه وعلمه، شرع في تأليفه سنة 1973م وأكمله سنة 1993م، وقد طبع في 12 مجلدا.

3 – مختارات ممتدة من تاريخ الإمامين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبدة، وهذا الكتاب مختصر من تاريخ الشيخ محمد رضا.

4 – شرح المنظومة الفطيسية في الفقه، اقتصر فيه على حل الألفاظ.

5 – كشف المغطى من حقائق الموطأ.

6 – مختارات من جمع الحديث المرتب من كتاب لسان العرب، جمع الشيخ فيه أحاديث كثيرة من لسان العرب لابن منظور وشرحها وبين محل استشهاد ابن منظور بها.

7 – ثلاثمائة حديث منتخب من مختار جمع الحديث من كتاب لسان العرب، وهو مختصر من الكتاب الأول.

8 – نبراس الطرائق لإظهار ما فيها من الأباطيل والحقائق.

9– اقتباس الشعر الحكيم من آي الذكر العظيم.

10– نبذة عن معهد القويري الديني.

ولم يترك التدريس إلا بعد مرضه سنة 2007، وانقطع عن الفتوى كذلك تورعا وفهما، حتى فاضت الروح إلى باريها سنة 2010. رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته[1].

(1) ينظر: مقدمة تفسيره " إرشاد الحيران "(1/ 11)، وصفحة زاوية الشيخ الداعية المربي عبد السلام الأسمر الفيتوري، على الفيس بوك نشرت بتاريخ 5 / 5 / 2012م. نقلاً عن تلميذه الشيخ حافظ القليب.

الفرع الثاني: الملامح العامة لمنهج أبي مزريريق في تفسيره:

يعتبر تفسير أبومزيريق أول كتاب في تفسير القرآن الكريم متكامل في ليبيا، فقد بدأ المؤلف في تأليفه عام 1973م، وانتهى منه عام 1993م، فمكث في تأليفه قرابة العشرين عاما، وقد جاء في اثنى عشر مجلدا، أما أبرز ملامح منهجه التفسيري، فكانت كالآتي:

أولا: المنهج الإجمالي "العام".

أشار الشيخ في مقدمة كتابه إلى المنهج العام الذي سلكه في تفسيره، فقال: "واقتصرت في هذه المباحث في نص القرآن على رواية قالون[1] عن نافع[2]، وفي الإعراب عن المشهور من إعراب الجمهور وفي البلاغة ما ظهرت براعته، وتلألأت عبارته، وفي الأحكام الشرعية ما اتضح دليلها واتحد سببها وتجنبت الخلافات، وابتعدت عن الاحتمالات، وتوخيت الوضوح والتوضيح، وابتعدت عن الإشارة والتلميح"[3] .

ثانيا: المنهج التفصيلي.

لم يصرّح الشيخ –رحمه الله– بمنهجه التفصيلي في مقدمة كتابه، ولكن الناظر في تفسيره، يتضح له أن الشيخ سلك منهجاً منضبطاً، واضح المعالم، والتزم به من أول التفسير إلى آخره، وهو على النحو الآتي:

---

(1) هو الإمام عيسى بن مينا بن رودان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمر بن عبد الله الزّرقي المدني، وكنيته أبو موسى، وقالون لقب له، لقّبه به شيخه الإمام نافع لجودة قراءته؛ لأن معنى قالون بلغة الروم جيد، وكان قالون ربيبًا للإمام نافع. وكان قارئ المدينة المنورة ومعلّم العربية بها، وكان أصمّ لا يسمع البوق فإذا قرئ عليه القرآن سمعه، وقيل أصابه الصمّ في آخر عمره، بعد أن أخذت عنه القراءة. ولد سنة 120 في أيام هشام بن عبد الملك وتوفي سنة 220 هـ ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري.(615/1).

(2) هو نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم أبو رويم، ويقال: أبو نعيم ويقال: أبو الحسن، وقيل: أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، أصله من أصفهان، ولد سنة 70هـ، وتوفي بالمدينة سنة169هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي. (ص/64). يعتبر ثاني كتب التفسير التي تعتمد على رواية قالون عن نافع بعد التحرير والتنوير لمؤلفه الطاهر بن عاشور.

(3) إرشاد الحيران.(7/1).

1_ يضع عنواناً عاماً للآيات قبل الخوض في تفسيرها، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[1] ، إلى قول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾[2] هذه الآيات البينات من أوائل سورة المائدة، جعل لها المصنّف عنواناً واحداً، وهو" توجيه المؤمنين إلى توفية العقود من أمور الدين"[3].

2_ يورد الآيات الكريمة التي يريد تفسيرها، بأرقامها في السورة.

3_ يقول: (البيان)، ويشرع في إيراد المباحث المتعلقة بالآيات القرآنية التي يتضمنها العنوان الرئيس وتلك المباحث يكون ترتيبها على النحو الآتي:

أ_ مبحث المفردات اللغوية.

ب_ مبحث الإعراب.

ج_ مبحث الأسلوب البلاغي.

ثم بعد ذلك يختم مباحثه بخلاصة المعنى العام، وما فيه من توجيهات وأحكام، وهكذا سار الشيخ في تفسيره، فإذا استوفى المنهج العام والتفصيلي بكل مباحثه، شرع في إيراد النص التالي وتفسيره على الوتيرة السابقة.

❁❁❁

(1) سورة المائدة الآية: 1.

(2) سورة المائدة: من الآية 11.

(3) إرشاد الحيران (252/3).

المطلب الأول: الملامح العامة لمنهج أبي مزيريق في تنزيل النص القرآني على الواقع.

تنزيلُ آيات القرآن وربطها بواقعِ الناسِ وحياتهم ميزةٌ خاصّةٌ لكلِّ مُفسِّرٍ في عصرِه؛ لذلك فقد اعتنى أبومزيريق في تفسيره بتنزيل النص القرآني وربطه بالواقع الذي عاشه، فكانت له منهجية عامة، تتجلى ملامحها في استخدام ألفاظ معينة، وأسلوب صريح وغير صريح، وإليك الأمثلة لتأكيد وبيان ما سبق ذكره:

1_ الألفاظ المستخدمة عند ربط النص القرآني بالواقع.

وظّف الشيخ أبومزيريق عند ربط الآية بالواقع، صيغا عديدة منها: اليوم، منتشر الآن، معمول به الآن. ومن الأمثلة على ذلك:

أ_ في تفسير قول تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] قال الشيخ أبومزيريق: " ن الله بين هنا استحقاقه للعبادة وأنها خاصة به وحده سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها شريك ... فالله وحده المعبود والله وحده المقصود، فليس معه وسيط أو شفيع لا أولياء ولا وسطاء؛ لأنهم جميعا أمام الله سواء يرجون رحمته، ويخافون عذابه"[2] .

ثم علّق الشيخ على انحراف بعض الناس في عقائدهم، فقال:" غير أن الناس انحرف أكثرهم فتعلقوا بالأوهام، وتمسكوا بالخيالات والخرافات، فجعلوا مع الله شركاء يعبدونهم، ويتخذونهم إلى الله زلفى، وهذا حاصل في القديم والحديث، ومشاهد في كل جيل يبدل الطيب بالخبيث، وسرى هذا في المسلمين الذين يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، لكن دون فقه ولا فهم، إنما هو التقليد الأعمى والتمسك بالعادات الموروثة والجهالات المتبعة لأقوام شتى" [3] .

أشار الشيخ هنا أن العبادة لله وحده هي التي يقوم عليها الدّين الإسلاميّ وينبثق منه، فربط هذا النص القرآني بالواقع الذي عاشه، حيث شهد انحرافات بعض الناس في عقائدهم وتمسكهم بعادات موروثة وجهالات متبعة.

---

(1) الفاتحة : 5.

(2) إرشاد الحيران(378/8).

(3) المصدر نفسه(378/8).

فحديثه هنا هو عن مرتكز العقيدة، ألا وهو توحيد الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، وقد اعتنى بها رسول الله ﷺ في فترة الدّعوة بمكّة المكرمة والمدينة المنورة، حتّى إذا رسّخت في نفوس أصحابه، و لأهمية العقيدة بالنسبة للمسلم، اعتنى المفسرون بتوجيه آيات العقيدة، من خلال تفاسيرهم، ومن هؤلاء الشيخ أبومزيريق ، حيث يشير إلى ما انتشر من سلوكيات وانحرافات التي تفسد عقيدة المسلم، وآثاره على المجتمع إذ يقول:" إن انحراف العقيدة ينشئ أثاره في انحراف المجتمع وتصوراته وتقاليده...وكلما انحرفت المجتمعات عن العقيدة الصحيحة عادت تصورات الجاهلية"[2].

ب_ في تفسير قول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

يقول الشيخ أبومزيريق:" هذه المحرمات تدخل هنا بمناسبة التحليل والتحريم في المتاع، والخمر...، والميسر[4]... وكل ما يحاول به الشخص أن يحصل على مال من طريق الحدس والمصادفة التي لا عمل فيها ولا تدبير، والتي لا تضيف إلى الحياة نتاجا ولا تحقق لأهلها مصلحة، كما هو منشر الآن في كل مكان ...، والأنصاب أصنام منصوبة يطوفون بها ويعبثون حولها، وينذرون لها الذبائح... وكما هو معمول به الآن في الحفلات بالمناسبات تكريما بزعمهم بضحايا العدوان وتخليدا لتلك الذكريات... والأزلام[5] قداح مكتوب عليها الأمر بالعمل أو النهي عنه، يخرجها الكاهن من المعبد...، ومثل هذا بعض ما يفعله الجهـــــــــــلة الآن من استخراج البـــخت

(1) الأنعام : 162، 163.

(2) إرشاد الحيران(40/7).

(3) المائدة: 90.

(4) الميسر فهو القمار للعروف ، وهو معاملة يا نصيب التي يتعاطها بعض الناس بالمخاطرة في سائر الألعاب، وهي منكر ، لليسر منكر وهو قمار، حرمه الله – عز وجل – لما فيه من أكل للمال بالباطل. ينظر: التعريفات الفقهية، محمد الإحسان. (ص/222).

(5) جمعُ الزَّلَمِ: وهي السهام التي كانوا في الجاهلية يستقسمون بها، أي يكتبون عليها الآمر والناهي ويضعونها في وعاء، فإذا أراد أحدهم سفراً أو حاجة أدخل يديه في ذلك الوعاء، فإن خرج الأمر مضى وإن خرج النهيُ كفَّ. ينظر: المصدر السابق. (ص/ 22).

من أبراج النجوم" [1].

تناول الشيخ أبومزيريق النهي الوارد في الآية السابقة وربطه بالواقع المعمول به الآن، وهو النهي عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام فاستخدم كلمة الآن، واستشهد بواقع الحال على تحقق ما جاء في النص القرآني الذي فسره .إضافة إلى ذلك أشار إلى ما يقوم به بعض الجهّال، وهو استخراج البخث من أبراج النجوم، وهذا موجود في واقعنا اليوم، فلا يترك الإنسان نفسه لتوقعات الابراج ويبني حياته على هذا فلا يصح له ذلك، و أن يكون أكبر من ذلك في يقينه بالله تعالى، واثقًا بربه وعليه ألا يستند ويعتمد إلا على يقينه بربه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف[2].

ج_ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [3]، يقول الشيخ أبومزيريق في تفسيره للآية: "ففي كثير من المجتمعات اليوم تعود تلك التصورات إلى الظهور، فالأنثى لا يرحب بمولدها كثير من الوساط، وكثير من الناس، ولا تعامل معاملة الذكر من العناية والاحترام، وهذه وثنية جاهلية في إحدى صورها"[4]؛ فاستخدم الشيخ هنا كلمة "اليوم". لتنزيل الآية السابقة على واقع

(1) إرشاد الحيران(429/3).

(2) أخرجه الترمذي في سننه أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ، باب(59، 4 / 667. ح 2516) .قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(3) النحل: الآيتان 58_ 59.

(4) إرشاد الحيران 41/7.

اليوم حيث لايزال بعضهم في مجتمعاتنا العربية يفضل الذكور على الإناث، على الرغم من التحضر وارتفاع المستوى التعليمي والثقافي لأفراد المجتمع، فثقافة تفضيل الذكر عن الأنثى هي ثقافة مازالت قائمة وسائدة وتجد لها حيزا كبيرا في عقول الناس، ولا دليل على أن الرجل بجنسه مكرم على المرأة بجنسها وإنما كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

2_ سلك أبومزيريق أسلوبين عند ربط الآية القرآنية بالواقع وهما صريح وغير صريح، ومن الأمثلة على ذلك:

أ_ صريح " مباشر".

ما جاء في تفسير قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[2]، تحدث الشيخ أبومزيريق عن الميسر وأنواعه، وألقى الضوء على ما يعرف "باليانصيب[3] وهو نوع من أنواع الميسر، فقال: "والميسر قد اتخذوه ذريعة لنفع الفقراء، ومن الغريب أن هذه التسمية موجودة يستعملها من يدعي الإسلام في كثير من بلدان المسلمين، يسمونها اليانصيب"[4] .

كما عرّج الشيخ على صورة أخرى من صور الميسر، وهو" الحق والباطل"، وهو ما يعرف في بلادنا " ليبيا" فقال: "ويدخل في هذا الميسر، كل أنواع المقامرة والمراهنة، وما يقال عنه: (الحق والباطل)، هو معروف يستعمله جهـــــلاء المسلمين، تقليدا لأهل الأديان الباطلة" [5]. فسلك الشيخ هنا الأسلوب الصريح " المبـــاشر"، وربط

(1) الحجرات : من الآية 13.

(2) البقرة: من الآية 219.

(3) اليانصيب هي: مسابقة يشتري فيها الناس تذاكر لكسب مبالغ كبيرة من المال. في معظم أنواع اليانصيب يشتري الناس تذاكر مرقمة من بائعين معتمدين، أو من آلات بيع التذاكر، ويتم تحديد الأرقام الفائزة في سحب عام يتم بطريقة عشوائية. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة أحمد مختار عبد الحميد.(2507/3).

(4) إرشاد الحيران(1/ 394).

(5) المصدر نفسه (395/1).

النص القرآني بالواقع.

ب_ غير صريح " تلميح".

ما جاء في تفسيره لقوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾[1] حيث تحدث الشيخ عن المحرمات العشرة من المأكولات، فجاء في المحرم الرابع " ما أهل لغير الله به" وأشار إلى ما يفعله بعض من عامة الناس أن يذبح شاة لضريح أو صنم فقال:" الرابع: ما أهل لغير الله به وهو ما ذبح لقصد تعظيم صنم ، أو هيكل أو ضريح أو نصب تذكاري ، ويدخل فيه كل ما عظّمه الناس تعظيماً دينياً....وحكمة التحريم في هذا أنه من عبادة من غير الله ، فالأكل منه مشاركة لأهله ومشايعة لهم عليه، وهو مما يجب إنكاره لا إقراره"[2].

ربط الشيخ الآية السابقة بواقع اليوم، فأشار إلى أن بعضا من الناس المخالفين يذبح شاة لقبر من أجل تعظيمه، فاعتنى بنصحهم وتوجيههم بأن هذا حرّمه شرعنا الحنيف وباتفاق أهل العلم، يقول أبو عبد الله الحطاب[3] : "أما عقر البهائم وذبحها على القبر فمن أمر الجاهلية إلا أن أنس بن مالك روى أن النبي ﷺ قال:" لا عقر في الإسلام"[4].

قال العلماء: العقر الذبح عند القبر، وأما ما يذبحه الإنسان في بيته ويطعمه للفقراء صدقة على الميت فلا بأس به إذا لم يقصد به رياء ولا سمعة ولا مفاخرة"[5] .

---

(1) المائدة: من الآية 3.

(2) إرشاد الحيران(276/3).

(3) هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعينيّ، أبو عبد الله، المعروف بالحطاب، ولد بمكة سنة 902هـ، وتعلم بها، من فقهاء المالكية أصله من طرابلس الغرب، له مصنفات، منها: قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين، تحرير الكلام في مسائل الالتزام، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل وغيرها. وعاد في أواخر حياته إلى طرابلس ومات فيها سنة 945. ينظر: أعلام ليبيا، الطاهر الزاوي.(ص/370).

(4) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب كراهية الذبح عند القبر.(5/ 128.ح 3222). قال النووي: «رواه أبو داود، والترمذي، والبيهقي بأسانيد صحيحة» خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، للنووي.(2 / 1031).

(5) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، أبي عبد الله الحطاب.(2/ 228).

فكان للشيخ أبومزيريق منهج خاص في تنزيل النص القرآني على الواقع، حيث استخدم فيه صيغ متعددة وسلك أسلوب التصريح أحيانا، وأحيانا أخرى أسلوب التلميح.

بهذا يكون ختام المطلب الأول، الهادف بمجموعه إلى التعرف على الملامح العامة لمنهج أبي مزيريق في تنزيل النص القرآني على الواقع.

❁❁❁

المطلب الثاني: تطبيقات على تنزيل النص القرآني على الواقع عند أبي مزيريق. "صور ونماذج مختارة"

اهتم الشيخ أبومزيريق بتنزيل النص القرآني على الواقع، في العديد من القضايا والنوازل المستجدة في عصره، فشملت جوانب عدة، الجانب العقدي والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي وغيرها؛ لبيان وتأكيد ذلك، وسأختار منها نماذج وصور، ومن هذه النماذج تتجلى لنا مدى جهود الشيخ أبومزيريق في تنزيل النص القرآني على الواقع. ولضيق المقام، سأكتفي بمثال واحد لكل جانب.

1_ الجانب العقدي.

في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[1] بيّن الشيخ أبومزيريق أن الشرك ضروب وأشكال مختلفة، فقال: "والإشراك ضروب وأشكال مختلفة، منه ما ذكره سبحانه عن مشركي العرب من عبادة الأصنام باتخاذهم أولياء وشفعاء عند الله يقربون المتوسل بهم إليه ويقضون الحاجات عنده...وأقوى أنواعه ما سماه الله دعاء واستشفاعا، وهو التوسل بغيره له وتوسيطه بينه وبين الله ، وهذا النوع ظاهر في بعض العوام الجهلة من المسلمين الآن، فتسمع عنهم أو تراهم يستشعفون ويقولون: يا سيدي فلانا أغثنا، أو جاهك، أو المدد إلى غير ذلك من التأوُّهات والصرخات خصوصا عندما يشطحون في مجالس اللهو واللعب التي يسمونها(حضرة) نعوذ بالله من الشرك و المشركين"[2].

ربط الشيخ هنا الآية بالواقع، حيث أشار إلى بعض المظاهر والأفعال التي يقوم بها بعض العامة من الناس، وهذه الأفعال تمس عقيدة المسلم، ولا شك أن العقيدة هي سبيل إصلاح الأفراد، ومن ثم المجتمعات، فطلب العون والغوث من غير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، هو الشرك بخلاف إذا طلب شيء في مقدور العبد فلا يعد شركا، وهذا الذي كان يقصده الشيخ من خلال توجيه النص القرآني السابق، وحـــديثه عن

(1) النساء: من الآية 36.

(2) إرشاد الحيران(16/3).

الشرك وأنواعه.

فإصلاح عقائد الناس أمر مهم كما يقول الطاهر بن عاشور[1]:"إصلاح الاعتقاد هو مفتاح باب الإصلاح في العاجل والفلاح في الآجل" [2] .

ولأهمية العقيدة الصحيحة بالنسبة للمسلم، أراد الشيخ أن يوجه الناس إلى الإسلام من بابه الوحيد، وهو باب التوحيد، فمن دخل من غيره وظن أنه دخل الإسلام؛ فليسارع إلى الخروج من المنفذ الذي نفذ منه، ويولي وجهه شطر باب التوحيد، يقول ﷺ فيما رواه مسلم عن جابر: « من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»[3]، فضلًا عن ذلك فإن الله لا يغفر هذا الإصرار على الشرك إذا كان نهاية صاحبه، يقول جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [4].

2_ الجانب الأخلاقي.

لم يغفل الشيخ أبومزريق الحديث عن قضايا الآداب والأخلاق في تفسيره، فقد اعتنى بها وربط النصوص القرآنية التي تحث على الأخلاق والتحلي بها بالواقع، أذكر هنا مثالا:

عند تفسير الشيخ لقول الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[5] أرشد إلى تجنب الجهر بالقول السيء، فقال:" إن الله تعالى لا يحب من الناس أن يجهروا فيما بينهم بذكـــــر العيوب والسيئات والكفر والمنكرات؛ لما في

(1) هو محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الشَّاذلي، عالم وفقيه تونسي ولد في ضاحية المرْسى، قرب العاصمة التونسيَّة، سنة 1296هـ = 1879م، ونشأ في رحاب العلم والجاه، فسلك تعلُّم القرآن الكريم في سنِّ السَّادسة، فقرأه وحفظه، التحق بجامع الزيتونة فدرس العلم الشرعي، أما كتبه ومؤلفاته فقد وصلت إلى الأربعين ومن أجلّها كتابه في التفسير التحرير والتنوير، توفّي الطَّاهِر بن عاشور في (13 رَجَب 1393 هـ = 12 أغسطس 1973م) بعد حَيَاة حافلة بِالْعلمِ والإصلاح والتجديد على مستوى تونس والعالم الإسلامي. ينظر: الأعلام، للزركلي (174/6).

(2) التحرير والتنوير(158/8).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات مشركا دخل النار،(1/ 94/ ح 152).

(4) سورة النساء الآية: 48.

(5) النساء: 147.

ذلك من المفاسد...إنه يؤثر في نفوس السامعين تأثيرا ضارا بهم، فقد جرت العادة بأن الناس يقتدى بعضهم ببعض، فمن رأى إنسانا فسمعه يسب آخر لضغائن وقعت بينهما أو لكراهته إياه قلّده في ذلك، ولا سيما إذا كان من الأحداث الذين يغلب عليهم التقليد، أو مَن مِن طبقة دون طبقته، إذ عامة الناس يقلدون خواصهم ، فإذا ظهرت المنكرات في الخاصة لا يلبث أن تصل إلى العامة وتفشو بينهم، ومن تميل نفسه إلى منكر أو فاحشة يجترئ على ارتكابهما إذا علم أن له سلفا وقدوة فيهما، فسماع السوء كعمل السوء، فذاك يؤثر في نفس السامع وهذا يؤثر في نفس الرائي والناظر، وأقل هذه الأضرار أن يضعف في النفس استقباحه واستبشاعه خصوصا إذا تكرر السماع والنظر، وكثير من الناس يجهل مبلغ تأثير الكلام في القلوب فلا ينزهون ألسنتهم عن السوء من القول، ولا أسماعهم عن الإصغاء" [1] .

ما ينبّه عليه الشيخ وغيره من العلماء ويحذّرون منه، هو خلق ذميم، ألا وهو الجهر بالقول السيء لما في ذلك من المفاسد وأثر على الفرد والجماعة، يقول القرطبي[2]: "والذي يقتضيه ظاهر الآية أن للمظلوم أن ينتصر من ظالمه – ولكن مع اقتصاد – وإن كان مؤمنا كما قال الحسن: فأما أن يقابل القذف بالقذف ونحوه فلا؛ وإن كان كافرا فأرسل لسانك وادع بما شئت من الهلكة وبكل دعاء؛ كما فعل النبي ﷺ حيث قال: "اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف"[3]... وإن كان مجاهرا بالظلم دعي عليه جهراً، ولم يكن لـــــه عرض محترم ولا بدن محترم ولا

(1) إرشاد الحيران(222/3).

(2) هو محمد بن أحمد المالكي أبو عبد الله القرطبي. ولم تذكر كتب التاريخ سنة ولادته، لكن رجح أحد المترجمين له بأنه ولد في قرطبة أوائل القرن السابع الهجري، له مؤلفات عدة منها: الجامع لأحكام القرآن، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة. ثم انتقل إلى مصر حيث استقر بِمُنْيَة بني خصيب في شمال أسيوط، ويقال لها اليوم: المنيا، وبقي فيها حتى تُوفِّي ليلة الاثنين التاسع من شهر شوال سنة671هـ. ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون(309/2).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب يهوي بالتكبير حين يسجد.(160/1/ح 804).

مال محترم. وقد روى أبو داود عن عائشة قال: سُرق لها شيء فجعلت تدعو عليه؛ فقال رسول الله ﷺ:«لا تُسبّخي عنه"[1] أي لا تخففي عنه العقوبة بدعائك عليه»[2].

وقال البغوي[3]:"لا يحب الله الجهر بالقبح من القول إلا من ظلم، فيجوز للمظلوم أن يخبر عن ظلم الظالم وأن يدعو عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾[4]، قال الحسن: دعاؤه عليه أن يقول: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج حقي منه، وقيل: إن شتم جاز أن يشتم بمثله لا يزيد عليه" [5].

3_ الجانب الاجتماعي.

مظاهر التكافل الاجتماعي في الإسلام كثيرة لا يتسع المجال هنا لتفصيلها؛ ولكن من ذلك ركن الإسلام الثالث الزكاة ومصارفها الثمانية والنفقة الواجبة للوالدين، والزوجة والأبناء وحق ذوي القربى ورعاية الجار، وإكرام الضيف، وقد جاءت النصوص القرآنية مؤكدة على ذلك. فاعتنى المفسرون، ومنهم الشيخ أبومزيريق بتوضيحها وتبيينها وربطها بالواقع، أذكر مثالا هنا:

في تفسير قول الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[6]،بيّن أبو مزيريق أن من مقاصد الشريعة تحقيق مصالح العباد الدنيوية والأخروية وتفقد أحوال المحتاجين ورعايتهم وحمايتهم، فقال: "إن هذا الدين ليس

(1) أخرجه أبوداود في سننه، أبواب فضائل القرآن، باب الدعاء.(2 / 614. ح 1497).

(2) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي.(6/ 2).

(3) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، ولد في بغثور وإليها نسبته وهي بليدة من بلاد خرسان، اختلف في سنة ولادته قيل433هـ، وقيل 436هـ، له مصنفات منها: التهذيب في فقه الإمام الشافعي. معالم التنزيل .مصابيح السنة. توفى سنة 516 هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للداوودي.(161/1).

(4) سورة الشورى الآية: 41.

(5) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي.(1/ 716).

(6) سورة الماعون الآيات: 1_ 3.

مظاهر طقوس؛ ولا تغني فيه مظاهر العبادات والشعائر، ما لم تكن صادرة عن إخلاص لله وتجرد، مؤدية بسبب هذا الإخلاص إلى آثار القلب، تدفع إلى العمل الصالح ، وتتمثل في سلوك تصلح به حياة في هذه الأرض وترقى، كذلك ليس هذا الدين أجزاء، وتفاريق موزعة منفصلة ، يؤدي منها الإنسان ما يشاء ويدع منها ما يشاء، إنما هو منهج متكامل، تتعاون عباداته وشعائره وتكاليفه الفردية والاجتماعية، حيث تنتهي كلها إلى غاية تعود كلها على البشر. غاية تتطهر معها القلوب، وتصلح الحياة ويتعاون الناس ويتكافلون في الخير والصلاح والنماء....إن حقيقة التصديق بالدين ، ليست كلمة تقال باللسان ، وإنما هي تحول في القلب، يدفعه إلى الخير والبر بإخوانه في البشرية المحتاجين إلى الرعاية والحماية . وليس أصرح من هذه الآيات الثلاث في تقرير هذه الحقيقة، التي تمثل روح هذه العقيدة، وطبيعة هذا الدين أصدق تمثيل "[1].

أراد الشيخ أبو مزيريق من تفسيره للآية أن يوجه الناس على فعل الخير؛ لأن من أسمى غايات الدين وأنبل مقاصده، هو أن يحرص الإنسان على الخير ويسارعَ إليه، وأن الخير هو أحد عناصر الفلاح والفوز، يقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [2]. وقال ﷺ:« الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء»[3] .

التضارب بين الواقع والدين، وبين النظرية والتطبيق، يزداد عمقا عندما نحول أبصارنا إلى معاملات الناس اليومية، فكم من شخص يعاهد نفسه على ألا يرحم إنسانا أبداً؛ لأنه فعل خيراً فلقي شرا إنه سعى إلى أن يستجيب لسنة الرسول ﷺ فكسا أجيرا استعمله وأطعمه؛ بل أسكنه في بيته، فما كان من العامل إلا أن تصور

(1) إرشاد الحيران(425/7).

(2) الحج: 77.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين،(323/4، ح 1924). وقال:" حديث حسن صحيح".

الطيبة ضعفا، وفعل الخير ونشر الرحمة عوامل مساعدة على الخيانة والإضرار والسرقة والعبث بأملاك الغير، هذه الصور المعتادة للتنكر للجميل تجعل بعض الناس يرددون: "الدنيا قل خيرها" فما العمل؟

لقد حدد الإسلام السبيل، وأوضح مسالك الرحمة، وحض على أخلاق الرجولة معها حتى يكون الخير والرحمة منتشِرَيْن في أمة محمد إلى يوم القيامة، ثبت في الصحيح عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[1]، ولقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2]، ولما جاء عنه ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[3] وهذا الذي أراد أن يوجّه الشيخ أبومزيريق الناس إليه، من خلال ربط النص القرآني بالواقع.

4_ الجانب الاقتصادي.

جاءت النصوص القرآنية لتحفظ حقوق الناس، منها قول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾[4] ، وجاءت هذه النصوص نقضاً للأصول التي كان عليها (اقتصاد قريش) الظلم والربا والتطفيف، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[5]، وقال تعالى:﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[6] .

نزل القرآن وأقام قواعد النظام الاقتصادي الجديد وهي العدل والخير والانصاف والإحسان؛ لذلك اهتم المفسرون بتوجيه النصوص القرآنية المتعلقة بالجانب الاقتصادي؛ لأنه لا يفصل بين إقامة الدين وأداء العبادات، وبين دنيا الكسب والمال

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب العلم، باب ما جاء الدال على الخير كفاعله.(5/ 41. ح 2671) قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

(2) المائدة: من الآية 2.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه،(1 / 12، ح 13).

(4) النساء: من الآية 29.

(5) آل عمران الآية: 130.

(6) المطففين الآيات: 1_ 3.

والاستمتاع بما أحلّ الله للناس من الطيبات. ولما لهذا الجانب من أهمية، اعتنى الشيخ أبومزيريق بتنزيل النص القرآني المتعلق بالجانب الاقتصادي على الواقع.

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[1] حذّر الشيخ أبومزيريق من المعاملة الربوية[2]؛لأن لا شكَّ أنَّ أضْرارها كثيرةٌ وعظيمةٌ، وأنَّ عواقبها وخيمةٌ وأليمةٌ، على الفرد والجماعة الذين يشترِكون فيها، وعلى المجتمع، إذ يقول:" وأشنع من هذا كله ما نسمعه اليوم: أن الربا ضرورة اقتصادية لا مفر منها؛ لأن النظام الاقتصادي العالمي كله قائم عليها، وهي الوسيلة الوحيدة لتمويل المشروعات الكبرى عن طريق البنوك، فالعملية لم تختلف عما كان عليه نظام الربا في الجاهلية الأولى، فأرباب الأموال هم أرباب الأموال، ودهاقين الربا هم دهاقين الربا: اليهود والعرب، فاليهود أصحاب الفكرة، والعرب أصحاب الأموال؛ لأنهم منابعها وممولوها سابقا ومنابعها وراصدوها لاحقا. وهكذا نرى شناعة العملية الربوية ليست ضرورة من ضروريات الحياة الاقتصادية، وأن الإنسانية التي انحرفت عن النهج قديما حتى ردّها الإسلام بثورته الروحية والاقتصادية هي الإنسانية التي تنحرف اليوم الانحراف ذاته، ولا تفيء إلى النهج القويم الرحيم السليم، فقادة الربا هم الأولون، وهم الآخرون يقودهم الطمع اللئيم، ويستفزهم الشيطان الرجيم، فلننظر ما يفعله الشيطان بأوليائه المرابين"[3] .

كما بيّن المصنف أن أعظم أسباب الحروب وانهيار اقتصاد الدول هو الربا، فقال: "فأما في العالم الذي يصبح الربا أساس اقتصادياته، فقد شهدت البشرية ما هو أدهى وأمر وأتعس ليقف الباحث على سر تعبير قوله: ﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ فشهدت البشرية من جراء ذلك الحروب التي تكاد تنشأ نشأة

(1) البقرة: من الآية 275.

(2) الربا شرعا: الزيادة الحاصلةُ بمبادلة الربوي بجنسه، أو تأْخيرِ القَبضِ فيما يجب فيه التقابض منَ الربويات. ينظر: منتهى الإرادات، ابن النجار(347/2).

(3) إرشاد الحيران(65/2).

مباشرة من النظام الربوي، وهو نوع من المس والتخبط الدموي... فالبشرية كلها من جراء هذا تذوق الويلات والانهيار، وألف باب وباب يؤدي بالبشرية إلى التخبط والدمار وهي تسير في طريق الربا يقودها الشيطان، أو يتخبطها كما عبّر القرآن"[1].

ولقد شَهِدَ واقعنا اليوم أن الربا كان سببًا لإفلاس كثيرٍ من الدول والمجتمعات والمؤسسات الماليَّة لأنَّ الطمع في أرباحه دفَع المتَعامِلين به إلى تحويل أرصدتهم وسحْب السيولة النقديَّة من بِلادهم إلى بُلدان أخرى قويَّة وذات نفوذ، فتتمكَّن تلك الدُّوَل الأخيرة من الهيمنة على هذه الأموال، ربما بشكلٍ يُعرِّضها للخطر من عدَّة جِهات، بينما تتعرَّض بلدان ذوي الأموال للجَفاف من السيولة النقديَّة وتتعرَّض لكسادٍ اقتصادي غير متوقَّع. وكما شهد الناس من مُؤسَّسات أفلسَتْ، ودول شُنَّت عليها الحروب المدمِّرة التي استَنزَفت ثرواتها!

فالمستفاد من توجيهات أبومزيريق في تحريم الربا، هو أن فوائد البنوك هي عين الربا، وليست مضاربة جائزة بين طرفين قائمة على الوضوح والصراحة، ومبدأ المكسب والخسارة.

كذلك أن أية محاولة يراد بها إباحة ما حرم الله، أو تبرير ارتكابه بأي نوع من أنواع التبرير، إنما هي جرأة على الله، وقول عليه بغير علم، وضعف في الدين.

ومن خلال عرض ما سبق يتبيّن لنا مدى عناية الشيخ أبومزيريق وإسهاماته وجهوده في تنزيل النص القرآني على الواقع.

❁❁❁

(1) المصدر نفسه 2/ 66.

الخاتمة.

تم بعون الله وتوفيقه بلوغ هذا البحث المتواضع، وإن من أهم النتائج والتوصيات التي توصّل إليها الباحث، ما يأتي:

أولا: النتائج.

1_ تنزيل النص القرآني على الواقع جانب مهم في تفسير القرآن، وتقريب معانيه للأفهام. وإن إغفال الواقع وعدم فهم تعقيداته في الحكم أو الفتوى الشرعية، هو في حقيقة الأمر إلغاء للنص القرآني، والتسليم للحكم الوضعي.

2_الناظر في تفسير أبي مزيريق يجده قد واكب النوازل والمسائل المستجدة، ويذكر رأيه فيها.

3_ عناية الشيخ أبومزيريق بتنزيل النص القرآني على الواقع تأصيلاً وتنظيراً.

4_ للشيخ أبومزيريق منهج خاص في تنزيل النص القرآني على الواقع، سلك فيه أسلوب التصريح أحيانا، وأحيانا أخرى أسلوب التلميح.

5_تنوع الموضوعات التي اعتنى فيها الشيخ أبومزيريق بتنزيل النص القرآني على الواقع، فشملت الجانب العقدي، والأخلاقي، والاجتماعي، والاقتصادي.

ثانيا: التوصيات.

يوصي الباحث في خاتمة هذا العمل، بالآتي:

1_ يجب على أهل العلم وطلابه العناية بكتاب الله تعالى فهما وتدبراً، وعلماً وعملاً.

2_ أوصي الباحثين في مجال القرآن وعلومه أن يعتنوا بقضية تنزيل النص القرآني على الواقع، بحثاً وتأصيلاً وجمعاً وتحريراً.

3_ إقامة المزيد من هذه المؤتمرات والندوات؛ لفتح الباب أمام عديد الباحثين، للتعريف بما يمتاز به بلدنا " ليبيا " من أعلام في جميع مناحي الثقافة العربية والإسلامية.

وفي الختام أقول: والله حسبي أني قد كرّست جهدي ما استطعت إلى ذلك سبيلا؛ لإلقاء الضوء على جهود أبومزيريق في تنزيل النص القرآني على الواقع.

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على ما منّ به عليّ من إتمام هذا البحث، وما يسّره لي من جمعه وأساله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقّت في إيراد المطلوب، وأن يغفر لي ما اجتهدت فيه فأخطأت وما سبق فيه القلم فزللت، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم. اللهم آمين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم. برواية حفص عن عاصم. مصحف المدينة المنورة.

1_ **إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن**، أحمد عبد السلام أبومزيريق، دار المدار الإسلامي بيروت لبنان، ط: الأولى 2011م.

2_ **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.

3_ **أعلام ليبيا**، الطاهر أحمد الزاوي، دار المدار الإسلامي بيروت، لبنان، ط: الثالثة، 2004م.

4_ **البرهان في أصول الفقه**، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ)، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: الأولى 1418 هـ - 1997 م.

5_ **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ.

6_ **التعريفات الفقهية**، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ - 1986م)، ط: الأولى، 1424هـ - 2003م.

7_ **التوقيف على مهمات التعاريف**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط: الأولى، 1410هـ-1990م.

8_ **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671 هـ)، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1423 هـ/ 2003 م.

9_ **خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة - لبنان – بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م

10_ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، إبراهيم بن محمد، ابن فرحون (المتوفى: 799هـ). تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة. د.ت. د. ط.

11_ **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو

الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

12_ **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى:279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي –مصر، الطبعة الثانية، 1395 هـ - 1975 م.

13_ **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى، 1422هـ.

14_ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. د . ت / د. ط.

15_ **طبقات المفسرين** للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: 945هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت . د . ت / د .ط .

16_ **غاية النهاية في طبقات القراء**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري،عني بنشره ج. برجستراسر دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. ط: الأولى 1352هـ / 1933م.

17_ **المستصفى**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م.

18_**معالم التنزيل في تفسير القرآن**، أبو محمد الحسين بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط: الأولى، 1420 هـ.

19_ **معجم البلدان الليبية**، الطاهر أحمد الزاوي، مكتبة النور. طرابلس ليبيا. ط: الأولى 1388هـ.

20_ **معجم اللغة العربية المعاصرة**، أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ)، عالم الكتب ط: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

21_ **معجم لغة الفقهاء**، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1408 هـ - 1988 م.

22_ **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

23_ **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: 748هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1417هـ.

24_ **منتهى الإرادات**، تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي الشهير بابن النجار (972هـ) تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1999م.

25_ **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، شمس الدين أبو عبد الله محمد الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: 954هـ)، دار الفكر، الطبعة الثالثة 1412هـ _1992م.